جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم التاريخ

السياسة الخارجية للدولة التيمورية في بلاد القَبْجَاق

(٧٧١ - ٨٠٧هـ/١٣٦٩ - ١٤٠٥م)

بحث مقدم من الطالب :

أحمد عبد المعين الدحروج

للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف :

الأستاذ الدكتور **فتحي عبد الفتاح أبو سيف**
أستاذ التاريخ الإسلامي – جامعة عين شمس

الأستاذة الدكتورة **محاسن محمد علي الوقاد**
أستاذ التاريخ الإسلامي – جامعة عين شمس

١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد .

الحُقبةُ المغوليةُ من الحُقب الهامةِ في تاريخ المشرق الإسلامي، لما رافقها من أحداثٍ وحروبٍ غيّرت شكلَ الخارطةِ المعروفةِ في ذلك العصر، حيث خضعَ المشرقُ الإسلاميُ لسيطرة المغول. والدولةُ التيمورية في عهد تيمورلنك هي امتدادٌ للحُقبةِ المغوليةِ في منطقةِ ما وراءَ النهر، فمعظمُ الأبحاثِ الحديثةِ اليوم تجعلُ من هذه الحُقبة امتداداً تاريخياً لخانيةِ جغتاي، ولعلَ السببَ في ذلكَ هو استمرارِ تيمورلنك بتنصيبِ خوانينَ من نسلِ جغتاي طوالَ فترةِ حكمهِ، وحَكَمَ من خلالهم بعد أن اطلقوا يدهُ في تصريفِ شؤونِ الخانيةِ، تماماً كما فعلَ المماليكُ من قبلِ مع الخليفة العباسي من قبل، كما ظلَ قادةُ المغولِ يتمتعونَ بمكانةٍ عاليةٍ في الجيشِ، وكان تيمورلنك حريصاً على إرضاءِهم لإبقائِهم إلى جانبه.

استطاع تيمورلنك الوصول لحكم بلاد ما وراء النهر، وقام بجملةٍ من الإصلاحات، وخاضَ عِدّةَ حروبٍ أمّنَ بها حدودَ دولتِه الناشئة. وأثناء تلكَ الحروبِ لجأ إليه أحدَ أمراءِ خانيةَ القبجاقِ-ويدعى "توقتاميش"- هارباً، فما كان من تيمورلنك إلا أن رحّب به، وقام بمد يد العون له حتى استطاع السيطرة على خانية القبجاق.

في هذا الوقت – وأثناء توطيد توقتاميش لحكمه- نشب خلاف بين الحليفين نتيجة لسيطرة تيمورلنك على شرق فارس فانقلبتِ العلاقةُ من التحالفِ إلى الخصامِ، وبدأت علاماتُ الحربِ تلوح بالأفق، وعجّلَ من نشوبِها قيامُ توقتاميش بالهجومِ على الدولة التيمورية.

بعد ذلكَ شرعَ تيمورلنك في تسييرِ حملتين منفصلتين، استطاع بهما أن ينهي على قوةِ تلك الخانيةَ إلى غيرِ رجعة، وقامَ بتنصيبِ خانٍ حليفٍ له هناك.

أدت حروبُ تيمورلنك في بلادِ القبجاقِ إلى إضعافِ الخانيةَ، وأصبحت مطمعاً لدولِ الشرقِ الأوربي، وخاصة ليتوانيا التي حاولت استغلالَ ذلك الضعفَ لتوسيعِ حدودِها، كما أدت إلى ظهورِ قوةِ الإماراتِ الروسيةِ لأولِ مرة، وعلى رأسها إمارةُ موسكو التي بدا أنها ستكونُ القوةَ المستقبليةَ في المنطقة.

أما عن **الدراسات السابقة**، فقد دُرِستْ شخصية تيمورلنك في كثير من الأبحاث العلمية كان أهمها بحث عنوانه "**تيمورلنك ...حياته وعصره**"، مقدم من الباحث مظهر شهاب لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القديس يوسف ببيروت، عام ١٩٨١م. وتعتبر هذه الأطروحة من أهم الأبحاث العلمية التي تتناول الحديث عن شخصية تيمورلنك وحروبه. كما درست شخصيته أيضاً ببحث آخر عنوانه "**تيمورلنك وشخصيته السياسية والعسكرية**"، مقدم من الباحث حفظ الله مصلح لنيل دراجة الدكتوراه من جامعة دمشق عام ٢٠٠٩م.

أما عن الدراسات المتعلقة بسياسته الخارجية فهناك بحثان؛ الأول عن "**علاقة الدولة التيمورية بسلطنة المماليك**" (٧٨٤-٨٥٠هـ/١٣٨٢م-١٤٤٧م)، مقدم من الباحث محمد أحمد علي لنيل درجة الماجستير من جامعة القاهرة عام ١٩٨٦م. والثاني عن "**صلة الدولة التيمورية بالعالم الإسلامي في عهد تيمورلنك**"، وهو بحث مقدم من الباحث محمد سالم بكر باعامر لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى، عام ١٩٩٣م. ولم تشر الأبحاث الثلاثة السابقة عن علاقة تيمورلنك بالقبجاق، باستثناء الدكتور مظهر شهاب، الذي سلط الضوء عليها خلال حديثه عن حروب تيمورلنك.

وانطلاقاً من هذا كان **اختيار الباحث لموضوع البحث** ؛ وهو : "**السياسة الخارجية للدولة التيمورية في بلاد القبجاق**"، بهدف مزيد من التعرف على الدولة التيمورية، وعلى علاقتها مع مغول القبجاق، التي كانت من أهم العلاقات التي عرفناها، ووصفت بعلاقة الأب بابنه، لكن سرعان ما انقلبت رأساً على عقب، وخاصة أن المصادر العربية لم تقدم إلا النذر اليسير من المعلومات حول ذلك، وكثيراً ما نراها تخلط الأحداث ببعضها البعض، كما أنها لم تزودنا فيما يتعلق بقيام الدولة التيمورية بشيء من التفصيل الشافي، كما لم تُحدِّثنا عن أوضاع خانية القبجاق في عهد توقتاميش، ولا بعد حروب تيمورلنك فيها، إضافةً إلى أن معظم الأبحاث العربية الحديثة ركزت على علاقات تيمورلنك ببلاد الشام أو آسيا الصغرى.

أما عن **الصعوبات التي واجهت الباحث** : أنّ المصادر العربية لم تزودنا بالتفصيل الشافي عن قيام الدولة التيمورية، ولا علاقتها بمغول القبجاق. فالمصادر العربية تفصّل الحديث عن تيمورلنك عند اقترابه

من الدولة المملوكية في مصر والشام، وخاصة المراسلات التي تمت بينه وبين الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج فيما بعد. وقد أشار المؤرخ الروسي بارتولد إلى صعوبة دراسة هذه الحقبة من تاريخ المشرق الإسلامي، لأن مادتها العلمية موزعة على لغات عدّة، من الصعب أن تجتمع في باحثٍ واحد، فكان واجباً عليّ أن أرجع لكتب عدّة وبلغات مختلفة للحصول على بعض المعلومات التي تتعلق بالبحث.

أما **منهج البحث** : فقد اعتمد الباحث على المنهج التاريخي الاستقرائي، والوصفي التحليلي.

وقد اشتمل البحث على : مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة . فبدأ البحث بتمهيدٍ وعنوانه : "**بلاد القبجاق وما وراء النهر... تعريف جغرافي وسياسي قبيل قيام الدولة التيمورية**"، تناول فيه الباحث الحديث عن أصل تسمية القبجاق، ومن أين أتت، وعن الإطار الجغرافي لهذه البلاد، مع لمحة تاريخية عن تاريخ خانية القبجاق منذ وصول المغول إلى فترة ظهور توقتاميش الذي يعد محور العلاقة مع الدولة التيمورية في عهد تيمورلنك. كما قمت بالتعريف ببلاد ما وراء النهر– مركز الدولة التيمورية – تعريفاً جغرافيًّا، مسلطاً الضوء على تاريخ تلك المنطقة في ظل خانية جغتاي، ذاكراً أهم الحكام الذين حكموا حتى ظهور شخصية تيمورلنك.

وفي الفصل الأول– وعنوانه : "**قيام الدولة التيمورية في بلاد ما وراء النهر** "– تحدث الباحث عن مولد تيمورلنك، وأصله، وحياته المبكرة التي نشأ فيها إلى أن اشتد عوده، ودخل في خدمة الجغتائيين، وقيامه فيما بعد بالتمرد عليهم، وتحالفه مع الأمير حسين، حتى استطاعا طرد المغول من بلاد ما وراء النهر. كما تحدث الباحث عن علاقة تيمورلنك بالأمير حسين، حيث بدأت تلك العلاقة بالتحالف ضد مغول الجتة، لطردهم مما وراء النهر، وانتهت بالحرب، والتي راح ضحيتها الأمير حسين، وانفرد تيمورلنك بحكم ما وراء النهر . كما تناول الباحث الحديث عن أهم الأعمال التي قام بها تيمورلنك لتنظيم أمور دولته الناشئة، وعن أهم المؤسسات التي اعتمد عليها في تسيير أمور دولته، إضافة للحروب التي خاضها من أجل تأمين حدود تلك الدولة الناشئة .

وأشار الباحث في الفصل الثاني – وعنوانه : "**العلاقة الخارجية بين الدولة التيمورية ومغول القبجاق**"– إلى بدايات العلاقة بين الدولتين، منذ لجوء توقتاميش إلى تيمورلنك هارباً من أوروس خان، وكيف قام تيمورلنك بمد يد العون له أثناء حروبه مع أوروس خان، وخلفائه من بعده، إلى أن وصل

لعرش خانية القبجاق. كما تحدث عن الأعمال العسكرية التي قام بها توقتاميش لتوحيد خانية القبجاق، وإخضاعه للإمارات الروسية المتمردة على المغول. بعد ذلك تناول الحديثَ عن تحول العلاقة بين تيمورلنك وتوقتاميش، وكيف وصلت إلى قيام الأخير بالاعتداء على الأراضي التيمورية بحملتين منفصلتين؛ الأولى : على تبريز مستغلًّا بُعد تيمورلنك، والثانية : على ما وراء النهر مستغلًّا غياب تيمورلنك عن مركزه .

وقد ختم الباحث دراسته للموضوع في الفصل الثالث- وعنوانه : "**جهود الدولة التيمورية التوسعية في بلاد القبجاق**"- والذي عرضت فيه للأعمال العسكرية التي قام بها تيمورلنك ضد خانية القبجاق، مفصلاً الحديث عن حملته الأولى، والتي تمخّض عنها معركة كوندوزتشا (٧٩٣هـ/١٣٨٩م)، وعن الحملة الثانية والتي كانت بدايتها معركة تيرك (٧٩٧هـ/١٣٩٤م)، والتي أخضع بها تيمورلنك بلاد القبجاق لسيطرته، وقام بتنصيب خانٍ موالٍ له عليها، ورجع إلى بلاده بعد تدميره لعاصمة مغول القبجاق "سراي"، كما قام الباحث بالحديث عن أوضاع بلاد القبجاق بعد رحيل تيمورلنك عنها، فقد تنازع الأمراء هناك فيما بينهم، وظهرت مطامع دول أوربا الشرقية في خانية القبجاق، وخاصة ليتوانيا، التي استغلت هروب توقتاميش إليها لتوسيع حدودها على حساب الخانية، بحجة إعادة توقتاميش إلى منصبه، مسلطاً الضوء على الحروب والأوضاع التي كانت سائدة، من مغادرة تيمورلنك إلى مقتل توقتاميش.

وبعد ذلك جاءت الخاتمة والتي اشتملت على نتائج البحث .

ثم أرفقت بالبحث بعضَ الملاحق المهمة المتعلقة بموضوع ، والتي تلق الضوء على بعض جوانبه وتزيدها اتضاحًا .

هذا وقد استلزم إعداد هذه الدراسة الرجوع إلى الكثير من المصادر والمراجع منها :

أولاً : المصادر العربية :

اعتمد الباحث في إعداد هذا البحث على مجموعة من المصادر العربية التي تناولت الحديث عن موضوع البحث، ومن أهمها :

١- ابن خلدون : (ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الإشبيلي التونسي، تـ ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، في كتابه "العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"[١]، وابن خلدون من الشخصيات القليلة التي جالست تيمورلنك وترجمتْ له. وقد دخل معه في حوار مباشر، ظهرت فيه حنكة ابن خلدون في النجاة من الوقوع ضحية لتيمورلنك. وقد خصص ابن خلدون قسماً من كتابه للحديث عن المغول من نشأتهم وصولاً إلى تيمورلنك، كما انفرد بذكر بعض الأحداث عن بدايات العلاقة بين تيمورلنك وتوقتاميش لم نجدها عند غيره من المؤرخين، فكتابه من الكتب المهمة، وخاصة لدارسي تلك الحقبة .

٢- المقريزي : (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تـ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، في كتابه : "درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة"[٢]. وهذا المصدر من كتب التراجم المهمة، حيث قدّم به المقريزي تعريفاً عن جوجي خان وورثته من بعده، وصولاً إلى توقتاميش، وعلاقته مع تيمورلنك، كما يتناول شخصية تيمورلنك من مولده إلى وفاته، ذاكراً حياته وحروبه، كما تحدث عن ذريتهِ، وأنهي حديثه بالكلام على صفات تيمورلنك. وتعتبر المادة الموجود في كتاب "درر العقود"، اختصاراً لما ورد في كتاب "عجائب المقدور" مع بعض الزيادات في بعض المحطات، ولكن أسلوب المقريزي كان أسهل، وبعيداً عن السجع الذي وقع فيه ابن عربشاه، فأفقد كتابه الكثير من الدقة.

٣_ ابن عربشاه : (شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي، تـ ٨٥٤هـ\١٣٥٣م) ، وكتابه : "عجائب المقدور في نوائب تيمور"[٣]، ويعد من أهم المصادر التي دونت سيرة تيمورلنك، وهو يشير إلى حوادث تيمورلنك الأولى بشيء من التشكك في صحتها، ويورد أحياناً للقصة الواحدة روايتين أو ثلاثاً. وخلال سرده كثيراً ما يتعرض لتفاصيل جغرافية عن المناطق والبلاد، وكثيراً ما يشير إلى أصل وجودها، مثل الحديث عن سراي عاصمة مغول القبجاق، وعن سكانها ودياناتهم، كما تناول في جزء كبير منه العلاقة بين تيمورلنك وتوقتاميش، وفضْل تيمورلنك عليه، ونكران توقتاميش للجميل، لكنه يدمج الحوادث في بعضها، ولا يعطينا تواريخ تلك الأحداث. كما أنه لا يقدم أسباباً منطقية للكثير من الأحداث. والقارئ لكتابه يجد سمة الكراهية واضحة لتيمورلنك . ورغم اتباعه أُسلوب السجع الذي يضعف أحياناً قوة

(1) بيت الأفكار الدولية, عمان, د.ت .
(2) تحقيق : محمود جليلي, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 2002م.
(3) تحقيق أحمد فايز الحمصي, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط1, 1986م.

العرض التاريخي، فإن كتابه يعدُّ من أهم المصادر التاريخية؛ لأنه كان معاصراً لتلك الحقبة، وشهد كثيراً منها، خاصة مرحلة ما بعد غزو تيمورلنك لبلاد الشام.

٣- ثانياً : المصادر الفارسية والمعربة :

١- مذكرات تيمورلنك[١]: التي تنسب لتيمورلنك نفسه، وهي تماثل كتاب "الياسا" لجنكيزخان، حيث دوّن فيها تيمورلنك الأحداث التاريخية منذ تمرده على مغول الجتة حتى وصوله للسلطة، إضافة للنظم التي اتبعها في تأسيس دولته ، والمؤسسات الإدارية التي كانت تقوم عليها تلك الدولة، كما تحدث فيها عن الحروب التي خاضها باختصار، إضافة عن علاقته مع الطوائف والمؤسسات التي تتكون منها الدولة، وخاصة الجيش، وختم كتابه بالحديث عن الخطط العسكرية الحديثة التي اتبعها في حروبه. وقد أفاد الباحث كثيراً، وخاصة من خلال المعلومات التي تتحدث عن المؤسسات الإدارية التي قامت عليها الدولة التيمورية ، إضافة للأحداث التاريخية.

٢- شرف الدين يزدي : ت (٨٥٨هـ/١٤٥٤م)، في كتابه : "ظفرنامه"[٢]، حيث اعتمد يزدي لدرجة كبيرة على كتاب "ظفرنامه" لمؤرخ تيمورلنك "نظام الدين الشامي"، كما نقل مادته عن أشخاص الذين كانوا على صلة مباشرة بتيمورلنك، وشاركوه حروبه، وكان لهم اطلاع خاص على بعض الحوادث. ويعد كتاب "ظفرنامه" من أهم الكتب التي تؤرخ لتيمورلنك؛ حيث حوى تفصيلات وجزئيات عن حياة تيمورلنك وحروبه، فقدم لنا معلومات نكاد لا نجدها في مصدر آخر، وظهر واضحاً تمجيده وتعظيمه لتيمورلنك، فنراه يكثر من استخدام المحسنات اللفظية والتشبيهات والاستعارات، بل والمنظومات الشعرية التي تمدح تيمورلنك. لكنه مع ذلك يبقى من أهم المصادر الفارسية لتلك الفترة، وقد أمد الباحث بكثير من المعلومات التي كانت أساساً للبحث.

٣- عبد الرزاق السمرقندي، ت (٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، في كتابه :"مطلع السعدين ومجمع البحرين"[٣]، فقد عاش السمرقندي في هراة وسمرقند إبان فترة ازدهار الحكم التيموري في عهد خلفاء تيمورلنك، ويعدّ كتابه من أمتع الكتب العلمية التي كتبت عن فترة تاريخ الأسرة التيمورية، ونرى إقلاله من مدح تيمورلنك

(1) ترجمة: سهيل زكّار, دار التكوين للتأليف والنشر, دمشق, 2008م
(2)(تاريخ عمومى مفصل إيران در دوره تيموريان), تحقيق محمد عباسي, شركت سهامى جاب زكين, تهران, 1337هـ ش, جلد أول.
(3) ترجمة: أحمد رياض عز العرب, رسالة ماجستير غير مطبوعة, كلية الآداب بسوهاج, قسم اللغات الشرقية, فرع اللغة الفارسية, 1997م.

مقارنة بظفرنامه، وقد ترجم الجزءَ الأولَ منه الباحثُ أحمد رياض عز العرب، بهدف حصوله على درجة الماجستير. وقد أفاد منه الباحث كثيراً وخاصة فيما يتعلق بالمرحلة الأولى من حياة تيمورلنك .

ثالثاً–المراجع الأجنبية :

١– من الكتب الإنكليزية التي أفادت الباحث كتاب "تاريخ رشيدي"، "Tarikh-I-Rashidi" لمؤلفه ميرزا محمد حيدر ت (٩٥٨هـ/١٥٥١م)[١]. وهو من الكتب التي ترجمت عن الفارسية التي تفصّل الحديث عن المغول في آسيا الوسطى، وقد حصل الباحث على النسخة المترجمة للإنكليزية. وقد أفادني الكتاب في الحصول على معلومات مهمة عن حياة تيمورلنك الأولى ومرحلة تأسيس الدولة، والتي قال عنها ميرزا أنه نقلها من "ظفرنامه" لنظام الدين الشامي. وكتاب "تاريخ رشيدي" كتاب علمي، ابتعد فيه ميرزا عن المحسنات اللفظية والاستعارات، التي كثيراً ما تُفقِد الكتاب أهميته التاريخية.

٢– ومن الكتب الأجنبية التي أفادت الباحث كتاب "History of the Mongols"[٢] (تاريخ المغول)، للمؤلف هنري هوريث. ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع التي تناولت الحديث عن المغول بشكل عام، وخاصة مغول القبجاق حيث قام بتفصيل الحديث عن تاريخ الخانية وحكامها. وقد أفاد الباحث في الفصلين الثاني والثالث من خلال المعلومات التي قدمها عن توقتاميش، وعن العلاقة التي كانت تربطه بتيمورلنك حتى مقتل الأول في مدينة تومين.

٣– ومن الكتب أيضاً كتاب : "Mongols in Russia" [٣](المغول في روسيا)، للمؤلف جرميه كورتين، وهو من الكتب المهمة التي تلقي الضوء على تاريخ روسيا في تلك الفترة، حيث استطاع مؤلفه الوصول إلى الوثائق الكنسية الموجود في كنائس روسيا، والتي تتحدث عن تاريخ المنطقة في ذلك الوقت. وقد أفاد الباحث منه في الفصل الثالث أثناء حديثه عن غزو تيمورلنك لتلك المنطقة، ومرحلة ما بعد ذلك الغزو، ولجوء توقتاميش لليتوانيا، والحروب التي قامت بين فيتولد ملك ليتوانيا وإيديكو المتحكم في شؤون الخانية في ذلك الوقت.

---

(1) (Dughlat Mirza Muhammad Haidar : Tarikh-I-Rashidi, The Translation by E. Denison Ross,Institute for the History of Arabic-Islamic Science at the Johann Wolfgang Goethe University, Frankfurt,1994.

(2) Henry Howorth : Longman Green and Co, 1880, Part II .

(3) Jeremiah Curtin : Simonds and co, Boston, 1908.

وقد استعان الباحث – اضافة لذلك – بعدد من الكتب الروسية والإنكليزية الأخرى، التي أغنت الفصلين الثاني والثالث بالكثير من المعلومات .

رابعاً : المراجع العربية :

١ – م.م. الرمزي[١] : في كتابه : "تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار"[٢]. يعتبر هذا الكتاب من الكتب القليلة باللغة العربية التي اختصت بالحديث عن المنطقة، وقد ساعدت معرفةُ مؤلفِه للغات عدّة على أن يطّلع على الكثير من المصادر والمراجع. وقد تميز بعرضه للروايات التاريخية التي وجدها في المصادر المختلفة، وإعطاء رأيه في النهاية مرجحاً إحدى الروايات. كما ظهر في كتابه مناصرته لتوقتاميش ضد تيمورلنك والروس، فكثيراً ما نجده يقف موقف المدافع عن سياسات توقتاميش، ويبرر أعماله. وقد أعان الباحث بإعطائه الأرضية للفصلين الثاني والثالث، إضافة لبعض المعلومات التي لم يجدها الباحث إلا عنده .

كما استفاد الباحث من بعض الرسائل العلمية، التي كان بعضها يمت للبحث بصلة مباشرة.

---

(1) اسمه محمد مراد الرمزي, وهو من علماء التتار في جمهورية تترسان الإسلامية, وهي اليوم جزء من الاتحاد الروسي, يعتبر مراد الرمزي أحد أهم الباحثين في تاريخ الترك بشكل عام, وهو أول من قام بترجمة القرآن الكريم من اللغة العربية إلى اللغة التترية التركية . ولد عام 1855م في قرية آلمات والتي تسمى اليوم المتيفسك . درس في بداية عمره في مدرسة أمه, وعندما أصبح في الثامنة سجل نفسه في مدرسة القرية, بعدها انتقل إلى قازان ليكمل دراسته في مدرسة "شهاب الدين المرجاني", ومن ثم سافر إلى طشقند ودرس فيها التصوف, وبعدها إلى بخارى قبلة طلاب العلم في أواسط آسيا في ذلك الوقت . وعندما انتهى تحصيله في بخارى, بدأ عام 1876م برحلة طويلة كانت بدايتها تركيا, ومصر, و الحجاز, والهند, بعدها رجع إلى المدينة المنورة لدراسة العلوم الإسلامية هناك . كان يتقن التركية والفارسية والروسية والعربية . ألف الرمزي حوالي خمسة عشر كتاباً, ورسائل كثيرة, ومن ضمن مؤلفاته كتاب "تلفيق الأخبار", لكن بعد الثورة الشيوعية, قامت الحكومة في ذلك الوقت بمنع كتبه, وقامت بملاحقته, واضطهاده, فاضطر للسفر إلى الصين, واستقر في مدينة تشركوتشك والتي بقي فيها إلى أن وافته المنية هناك عام 1934م .

(انظر : Гараева Н : Мурад Рамзи, Татарские интеллектуалы, исторические портреты / Сост. Р. Мухаметшин. – 2-е изд, Казань, Магариф, 2005, 271 с.

Ахунов А : «Заместитель» Учителя (жизненный путь Мурада Рамзи), http://www.idmedina.ru/books/history_culture/minaret/3/ahunov.htm .

Насыров И : Мурат Рамзи, великий сын башкирского народа, http://www.islam.ru/content/person/murat-ramzi-velikij-syn-bashkirskogo-naroda.).

(2) دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 2002م.

وفي ختامِ تقديمي هذا أتقدمُ بالشكرِ لوالدي ووالدتي من أنارا دربي بالرضى والدعاء. ادعوا الله أن يحفَظَهُما ويمد بعمرهما ويمتعهما بالصحة والعافية وأن يجمعني بهما سالمين، كما أشكر أخوتي وأخواتي على دعمهم لي، ومساندتي طول هذه الفترة.

كما أتوجه بالشُكرِ إلى أبي الروحي وأستاذي أ.د فتحي عبد الفتاح أبو سيف، الذي هداني إلى هذه الدراسةِ وتحمَّلَ معي ما فيها من مشقة، وكان طوالَ فترةِ البحثِ الأستاذ الدؤوب على تصويب أخطاءِ تلميذه، والأبَ الحنون الذي يحنو على أبنائه بكلامه العذبِ الرقيق. فمناط أملي وموضع رجائي أن يمتعَه الله بالصحة والعافية ويُديمه لنا ذخراً. والشكرُ موصولٌ إلى أ.د محاسن محمد علي الوقاد التي وافقت أن تكونَ مشرفاً مشاركاً رغمَ مشاغلِ رئاسةِ القسمِ وما فيها من متاعب، فكانت حريصةً على متابعتي رغمِ ما ذكر، فجزاها اللهُ عني كل خير. والشكرُ موصولٌ أيضاً للدكتورة حنان اللبودي والدكتور سند عبدالفتاح اللذان رضيا أن يناقشاني في هذا البحث، واثرائه بملاحظاتهما، ولا تَخفى بصمتَهُما عليه، فقد قدما لي الكثيرَ أثناءَ فترةِ الدارسة، اشكُرهما وأدعوا لهما بالخير.

كما أتوجهُ بالشكرِ الجزيلِ للأستاذ الدكتور أحمد الخولي والأستاذ الدكتور ابراهيم الجندي على ماقدماهُ ليَ لإتمامِ هذه الدراسة. والشكرُ موصول للأصدقاء : أحمد يوسف ومحمود مرعي وعلي جمعة وهيثم قنديل ونظمي حبش وهاجر صلاح الدين ومريم هندي ولمياء يعقوب الذين تجسدَ بهم معنى الصداقةِ والأخوةِ فرب أخٍ لك لم تلده أمك.

والشكرُ أيضاً لمؤسسةِ الأستاذِ سليمان حلمي طوناهان افندي التركية والقائمين عليها على رعايتي ودعمي، وأخصُ بالشكر الأستاذ يونس بيهان والأستاذ يعقوب طاش.

ولا أنسى تقديمَ الشكرِ للآباءِ الدومنيكان على الكنزِ الذي وضعوه بين يدي الباحثينَ المتمثلِ بمكتبة معهدِ الدراساتِ الشرقية، والشكر أيضاً للقائمين على هذا المعهدِ، فهم مثالٌ للأخلاقِ النبيلةِ والتعاملِ الحسن وأخص بالذكر جون ورينيه ودلال ومجدي وأمير.

كما أشكرُ سماحةَ مفتي مدينة ياكترين بورغ الروسية، الأستاذ دانيس كدرات الذي قام بتأمين الكتبِ الروسيةِ لإتمامِ هذا البحث وساعدني في ترجمتها فجزاه الله خيرا.

وأختِمُ بمقولةٍ للعماد الأصفهاني التي تقول :

إني رأيت أنه لا يكتبُ إنسانٌ كتاباً في يومه إلا وقال في غدِه : لو غُيرَ هذا لكانَ أحسن، ولو زيدَ هذا لكان يُستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر .

التمهيد

بلاد القَبْجَاق، وما وراء النهر ...عرض جغرافي وسياسي قبيل قيام الدولة التيمورية

– التمهيد : بلاد القَبْجَاق، وما وراء النهر ...عرض جغرافي وسياسي قبيل قيام الدولة التيمورية :

أ– بلاد القبجاق :

يطلق اسم بلاد القبجاق[١] على المنطقة الممتدة من بحر القسطنطينية (البحر الأسود) إلى نهر إرتيش، مسيرة ثمانمائة فرسخ[٢]، وعرضها من باب الأبواب[٣] إلى مدينة بُلغار[٤] نحو ستمائة فرسخ[٥]، حيث يحدها من ناحية الشرق الصين، وبلاد الصقالبة[٦] من الشمال، وخوارزم[٧] من الجنوب، وغربها الخليج القاطع لبحر الروم على القرم[٨]، أي معظم أراضي جنوب روسيا اليوم، وهو يشمل أوكرانيا وبلاد القوقاز والتي تضم جورجيا، وأرمينيا، وأذربيجان، والشيشان، ومنها تمتد إلى كازاخستان التي يقع نهر إرتيش في نهايات حدودها .

---

(1) القَبْجَاق بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح الجيم وألف بعدها ثم قاف, وهم جنس من التّرك يسكنون صحاري الشمال, التي يطلق عليها اسم دشت القبجاق أهل حلٍّ و ترحال, على عادة البدو, وهم قبائل كثيرة شهيرة من بين الأقوام التركية و قديمة جداً. (انظر : القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا, المطبعة الأميرية, القاهرة, 1914م, الجزء4, ص456؛ المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار, (المعروف بالخطط المقريزية), تحقيق: محمد زينهم و مديحة الشرقاوي, مكتبة مدبولي, القاهرة, ط1, 1997م, ج3, ص85).

(2) الفرسخ : فارسي معرب أصله فرسنك, وقال بعض اللغويين : الفرسخ عربي محض, يعادل ثلاثة أميال (12000 ذراعاً, 5544متراً). (انظر : زين العابدين شمس الدين نجم : معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية, القاهرة, 2006م, ص402).

(3) باب الأبواب : وهي الدربند, مدينة على بحر الخزر, سميت بباب الأبواب لأنها أفواه شعاب في جبل القبق, وفيها حصون كثيرة. (انظر : الإصطخري : المسالك و الممالك, مطبعة بريل, ليدن, 1937م, ص184؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان, دار صادر, بيروت, 1977م, ج1, ص303-306؛ القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد, دار صادر, بيروت, د.ت, ص506-508؛ ابن عبد الحق البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع, تحقيق: محمد علي البجاوي, الجيل الجديد, بيروت, ط1, 1992م, ج1, ص142-143).

(4) بُلغار : بضم الباء, مدينة ضاربة في الشمال, تقع ناحية صغيرة منها على ضفة نهر أتل (الفولجا)(انظر: مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب, تحقيق: يوسف الهادي, دار الثقافة للنشر, القاهرة, ط1, 1999م, ص144- 145؛ أبو حامد الغرناطي : تحفة الألباب ونخبة الإعجاب, تحقيق: اسماعيل العربي, دار الآفاق الجديدة, المغرب, ط1, 1993م, ص137-138؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان, ج1, ص 485 ؛ القزويني: آثار البلاد, ص612-614).

(5)ابن عربشاه : عجائب المقدور, ص138-139؛ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي, تحقيق: محمد محمد أمين, تقديم : سعيد عبد الفتاح عاشور, الهيئة المصرية العامة, القاهرة, 1984م, ج2, ص344.

(6) الصقالبة : جيل حُمر الألوان, صُهب الشعور يتاخمون بلاد الخزر, في أعالي جبال الروم. وبلاد الصقالبة : بلاد بين بُلغار وقسطنطينية. (انظر : مؤلف مجهول : حدود العالم, ص139؛ المقدسي : أحسن التقاسيم, مكتبة مدبولي, القاهرة, ط1, 1991م, ص61؛ القزويني : آثار البلاد, ص614-615؛ البغدادي: مراصد الاطلاع, ج2, ص847).

(7) خوارزم : هو اسم إقليم ومدينة معاً, والمقصود هنا الإقليم وهو اقليم منقطع عن خراسان وما وراء النهر, وهي آخر جيحون, وحدّها يتصل بحدود الغزية (القبجاق) مما يلي الشمال والمغرب, وحدّ جنوبها من شرقيها بلاد خراسان وما وراء النهر, ذات مدن وقرى كثيرة, لها من الجنوب مدينة كبيرة تسمى الجرجانية (كاث) وهي أكبر مدينة بخوارزم. (انظر: الاصطخري : المسالك و الممالك, ص299 -303؛ المقدسي : أحسن التقاسيم, ص284-285؛ القزويني : آثار البلاد, ص525-526؛ الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار, تحقيق: إحسان عباس, مكتبة لبنان, بيروت, ط1, 1984, ص224-225).

(8) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار, تحقيق: كامل سلمان الجبوري, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 2010م, ج3, ص22؛ ابن عربشاه : عجائب المقدور, ص138-139؛ علي أكبر دهخدا : لغتنامه دهخدا, مؤسسه=

هاجر القبجاق من المنطقة الممتدة من نهر إريتش إلى نهر أتل (الفولجا)، وابتداءً من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ازدادت أعدادهم، فاضطروا إلى هجرتهم الكبرى، فاندفعوا إلى أراضي الغُز[١] الذين اضطروا تحت ضغط القبجاق عليهم في الشمال إلى الاتجاه نحو الجنوب والغرب، واستقروا في شبه جزيرة مانغشلاق، وفي الأراضي التي خلفها لهم البجناك[٢] في جنوب روسيا، وأصبحت فيما بعد صحراء الغُز تعرف بصحراء القبجاق[٣].

كان للقبجاق معاملات ومحاربات كثيرة مع الروس أكثر من معاملات مَن سواهم من الأقوام التركية، حتى تكررت بينهما المصاهرة، وتأثروا بهم فاعتنقوا المسيحية الوافدة عليهم من تلك البلاد، كما أدت صلتهم بالخوارزميين إلى تأثروهم بالإسلام، ودخلت منهم أعداد كبيرة الإسلام في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وقد تسلطن عدد من القبجاق في الديار المصرية والشامية بعد أن استُجلِبوا إلى هناك أرقاء مماليك[٤]، وقاموا بخدمات جليلة للدين الإسلامي، وأسهموا في حماية حوزته،

=انتشارات وجاب دانشكاه تهران, جاب اول از دوره جديد, بهار 1373 هـ.ش , ج5, ص9589؛ صبري عبد اللطيف سليم: المغول وعالم الإسلام, دار الفكر العربي, القاهرة, 2008م, ص56 ؛

G.A. Fyodorov-Davydov : The Cultre of The golden Horde City, translated from the Russian by .H. Bartlett Wells, Oxford, 1984, p5.

(1) الغز : هم من قبائل الأتراك المسلمين, عندما دخلوا في الإسلام عرفوا بالترجمان, ثم قيل : التركمان. وكان الغز في بادئ الأمر يقطنون في شمال بحيرة خوارزم وبلاد الخزر. فكان يحدها من الشرق مفازة الغز وومدن ما وراء النهر, وتمتد غرباً حتى نهر أتل (الفولجا). وصف الغز بالطبع الحاد والقسوة والقوة الجسمانية. وقد دخل الغز في دين الإسلام في القرن الرابع الهجري\العاشر الميلادي, ويعود أصل السلاجقة للغز. ولما كان هؤلاء يحترفون الرعي, فإنهم دأبوا على الترحال إلى أن استقر بهم الحال والمقام في بلاد ما وراء النهر. (انظر : مؤلف مجهول : حدود العالم من المشرق, ص69؛ القزويني: آثار البلاد, ص587؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب, تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 2004م, الجزء 26, ص221– 222؛ زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطى, دار الفكر العربي, القاهرة, د.ت, ص9).

(2) البجناك : هم قوم سيّارة يتّبعون مواقع القطر والكلأ, يحدهم من الشمال القبجاق, ومن الجنوب بلاد الخزر, وفي المشرق بلاد الغزيّة, وفي المغرب بلاد الصقلب, موطنهم الأصلي إستبس وسط أسيا, ثم اتجهوا لجنوب روسيا واتخذوا طريقهم الدون والدنيبر, ثم اتجهوا إلى المجر. ويرجع سبب هجرتهم إلى ضغط الغز الأتراك على حدودهم الشرقية, يذكر أنه بعد سنة أربعمائة من الهجرة أسَر البجانكة فقيهاً من المسلمين, فقام هذا الفقيه بعرض الإسلام على طائفة منهم, فأسلموا وصحت نياتهم وانتشرت دعوة الإسلام فيهم, وقد احتل البجناك مناطق واسعة على البحر الأسود, وظلوا لفترة طويلة على وفاق مع بيزنطة, وقاموا بالوساطة التجارية بينها وبين شعوب المنطقة وخاصة روسيا . (انظر : مؤلف مجهول : حدود العالم, ص141؛ البكري : المسالك والممالك, تحقيق: أدريان فان ليوفن و أندري فيري, الدار العربية للكتاب, قرطاج, 1992م, الجزء الأول, ص445 ؛ زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطى, ص8).

(3) م.م الرمزي : تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار, دار الكتب العلمية, ط1, بيروت, 2002م, الجزء الأول, ص 214-215؛ رغد عبد الكريم النجار : إمبراطورية المغول, دار غيداء للنشر, عمان, ط1, 2012 م, ص145.

(4) المفرد " مملوك " بالعبودية والرق, لأنه يعني أن " المملوك " ملكية خاصة لشخص آخر. إذ كانوا يجلبون أطفالاً من أسواق النخاسة, ثم يعهد بهم إلى من يعلمهم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي, ثم يعهد بهم إلى من يتولى تعليمهم فنون القتال والفروسية, ليكونوا عدّة لحكّام المنطقة العربية من الأيوبيين المتنافسين فيما بينهم, وبهذا يكونون قوة وسنداً لهم في الصراعات الداخلية بين أبناء الأسرة الأيوبيّة. مع الأيام ازداد عدد المماليك في جيوش الحكّام الأيوبيين, كما ازدادت أهميتهم في الحياة السياسية, واستطاعوا الوصول إلى حكم مصر والشام بعد الأحداث التي أعقبت موت نجم الدين الصالح أيوب.(انظر : الفيروز آبادي : القاموس المحيط, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, 2005م, ص296؛=